

## ترجمة الحديث النبوي الشريف في معترك التأويل والتفسير والسياق

صباح فراح

كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب الإنجليزي، جامعة محمد بوضياف- المسيلة، ilfiorerosso@hotmail.fr

تاريخ القبول: 2020/06/11

تاريخ المراجعة: 2020/02/04

تاريخ الإيداع: 2019/11/11

## ملخص

تمثل الترجمة أحد أهم ميادين المعرفة الإنسانية وأكثرها تأثيرا وتأثرا بالعولمة ونتائجها لارتباطها بصميم عملية التفكير والتأويل؛ بيد أن بعض الظواهر اللغوية لا تقبل إجراء الترجمة عليها بالمعنى المتداول والمعروف للترجمة. فالنص الديني كالحديث النبوي يطرح إشكاليات وجود ترجمة دقيقة وصحيحة له انطلاقا من تفسيره وتأويله حسب السياق. وبهذا تحاول هذه الورقة البحث في الفرق بين التفسير والتأويل في الحديث النبوي الشريف، وكيفية تأثير السياق على إدراك الفهم الصحيح وتحصيله لهذا النوع من النصوص وكذلك كيفية تمكن المترجم من اختيار وتبني المنهج الصحيح لترجمتها.

الكلمات المفتاحية: ترجمة، تفسير وتأويل، سياق، حديث نبوي شريف، أساليب ترجمة.

*Translation of Holy Hadith and the Trilogy of Interpretation, explanation and Context***Abstract**

This paper tends to shed light on the effects of globalization on translation for its pretty relationship with thinking and interpretation processes. Hence; some linguistic phenomena do not accept the pretty known procedure of translation; like religious texts such as Holy Hadith that still recognizes some problems related to its exact and correct translation, based on its explanation and interpretation depending on its context. Hereafter, this paper investigates the difference between explanation and interpretation of Holy Hadith, the way context affects on its understanding, and the correct translation strategy.

**Keywords:** Translation, explanation and interpretation, context, Holy hadith, translation procedures.

*La Traduction du Hadith et la Trilogie de l'Interprétation, de l'Explication et du Contexte***Résumé**

La présente étude est liée aux effets de la globalisation sur la traduction pour sa bonne relation avec la pensée et l'interprétation, bien que quelques phénomènes linguistiques n'acceptent point la traduction comme le texte religieux et plus précisément le Hadith qui connaît quelques problèmes liés à sa traduction correcte et exacte. Pour cela, cette étude constitue une investigation des différences entre explication et interprétation du Hadith, la manière à laquelle le contexte affecte sur sa compréhension et la procédure correcte que le traducteur adopte.

**Mots-clés:** Traduction, explication et interprétation, contexte, hadith, procédures de traduction.

## مقدمة

تمثل الترجمة أحد أهم ميادين المعرفة الإنسانية وأكثرها تأثيراً وتأثراً لارتباطها بصميم عملية التفكير والتأويل. بيد أن بعض الظواهر اللغوية لا تقبل إجراء الترجمة عليها بالمعنى المتداول والمعروف للترجمة، ولا يمكن إخضاعه لأي من الأساليب الترجيحية المعروفة خوفاً من تقطع نظمه وسقوط موضع الحسن فيه وتحييده عن هدفه. وعلى هذا الأساس، فإن نصوصاً دينية مثل الحديث النبوي الشريف الذي يمثل واسطة الفهم عند المسلمين والمرجع الثاني بعد القرآن الكريم الذي يمثل كلام الله عز وجل ودستور المسلمين الأول، لا يزال يطرح إشكاليات وجود ترجمة دقيقة وصحيحة له من عدمها على الرغم من تطور آليات تناول النصوص وتداولها. إذ تختلف النصوص الدينية عن النصوص المقدسة من حيث الشكل والمنهج والمضمون أيما اختلاف ولا يمكن أن نعزو هذا الاختلاف إلى كونه شكلياً فقط وإنما اختلافاً في المضمون أيضاً. ومن هنا تبرز إشكالية التعامل مع نصوص لها خلفياتها الثقافية والإيديولوجية المختلفة التي تقضي بنا إلى البحث في المناهج والطرق الأنسب لترجمتها.

## 1- التأويل في الثقافة العربية:

يعد لفظ التأويل في الثقافة العربية اشتقاقاً صرفياً من "الأول" بمعنى الترجيع والرجوع، حيث ورد بهذا المعنى تقريباً في القرآن الكريم في قوله تعالى: "ذلك خير وأحسن تأويلاً"<sup>(1)</sup>؛ إذ اعتبر "السيوطي" (ت 1505م) أن التأويل في هذا المقام يعني العاقبة والمآل. كما حضر مفهوم التأويل في القرآن، بمعنى التفسير خاصة في سورة يوسف في عدة مواضع منها قوله تعالى: "وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث"<sup>(2)</sup>، بمعنى أن الله يختارك ويعلمك من تفسير الأحاديث التي كانت غامضة يتعذر فهمها.

لذلك أورد ابن منظور في لسان العرب في شرحه لكلمة "تفسير" بمعنى "التأويل"؛ غير أن "الجرجاني" (ت 816هـ) يفرق بين المفهومين بقوله إن التأويل في الأصل: "هو الترجيع وفي الشرع صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله إذا كان المحتمل الذي يراه موافقاً للكتاب والسنة، مثل قوله تعالى: ليخرج الحي من الميت؛ إن أراد به إخراج الطير من البيضة كان تفسيراً، وإن أراد به إخراج المؤمن من الكافر أو العالم من الجاهل كان تأويلاً"<sup>(3)</sup>. وذكر "حاجي خليفة" أن التأويل لغة من الأول، وهو الرجوع والأول صرف الآية إلى ما تحتمله من المعاني"<sup>(4)</sup>، منتهياً إلى المقارنة بين التفسير والتأويل قارناً "التفسير بالرواية والتأويل بالدراية"، وهو يعني بذلك التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي. ويجعل "ابن رشد" (ت 1198م) الفرق بين التفسير والتأويل من جهة إحالة اللفظ على الحقيقة أو على المجاز. ويعني الفقهاء بالتأويل تفسير الآية القرآنية على غير المعنى الظاهر، وكذلك الأمر مع علماء الكلام والصوفية.

ورغم اختلاف أهل الاعتزال وأهل السنة حول التأويل ومدى الاعتماد على العقل فيه؛ فإنهم كانوا جميعاً يرتبطون بالحدود التي تسمح بها وجوه البيان في التأويل ولا يتعدونها، مما جعل تأويلهم يبقى دائماً تأويلاً بيانياً. وينتهي "الجابري" إلى التأكيد على أن التأويل في الحقل المعرفي البياني لم يكن يتجاوز أبداً اللغة العربية كمحدد أساسي من محددات النظام المعرفي الذي يصدر عنهما تباًين المعتزلة بعقلانيتهم عن النصيين.

نستنتج أنه في مستوى مجال التأويل؛ لم يتجاوز التأويل في سياق الثقافة العربية الكلاسيكية مجال النص الديني، وأنه في مستوى آليات التأويل تحرك بين اعتماد اللغة عند البعض واعتماد الحدس والتضمين عند البعض الآخر، وتوظيف التاريخ، خاصة فيما يتعلق بأسباب النزول عند البعض الآخر. لكن العرب القدامى وإن بحثوا في

أسباب النزول، فإنهم لم يعتبروا النص القرآني معطى تاريخيا، بل تم احتسابه دائما على أنه معطى متعالٍ؛ ولم تكن الغاية المعرفية هي الهم الرئيس الذي يحركهم وإنما توظيف التأويل للدفاع عن عقيدتهم والذود عنها.

**2- التأويل في الثقافة الغربية:**

يعتقد بعضهم أن مصطلح التأويل في الثقافة الغربية قد تحول في العصور الوسطى من مجال تفسير النص الأسطوري إلى مجال تفسير الكتب المقدسة، وانصرف اهتمام المفسرين إلى وضع القواعد التي يمكن بواسطتها فهم الكتاب المقدس. وفي عصر "أغسطين Augustin"، تم تقسيم المعاني التي يبحث عنها المفسر للكتاب المقدس إلى أربعة: المعنى الحرفي والمغزى الأخلاقي والدلالة الرمزية والتأويل الباطني. وفي بداية القرن التاسع عشر، جعل الفيلسوف الألماني "شلايرماخر Schleier Macher" التأويل عاما لكل النصوص بعدما كان حكرًا على الديني منها فقط. وقد ساهمت نظريته في الرد على كل من المفهوم الهيغلي (Higelian concept) الذي يفسر النص الديني كتجل للروح المطلق في التاريخ وعلى المفهوم المضاد الذي يمثله "فيورباخ"، والذي يرى أن "النص الديني ليس إلا شكلا من أشكال الاغتراب"<sup>(5)</sup>. إذ ليس مهما عند "شلايرماخر" أن يكون النص المقدس تجليا للروح المطلق أو تعبيرًا عن اغتراب الإنسان، بل إن أكثر ما يهمه هو فهم النص الديني شأنه في ذلك شأن النص الأدبي أو التاريخي أو غيرهما.

وقد بين بول ريكور (Paul Ricoeur, 1913) أن التأويل منذ أرسطو لم يقتصر على المجاز، وإنما اقترن بكل خطاب دال، بل أن كل خطاب دال إن هو إلا تأويل للواقع. بيد أن إشكالية التأويل انبثقت في الواقع مع قضية الترجمة، خاصة وأن اعتماد الفيلولوجيا (Philology) في ترجمة النصوص يطرح مشكل الاختلال في المعنى مع النص المترجم<sup>(6)</sup>. وقد دخلت مسألة التأويل مجالها الفلسفي منذ أن بدأت الاجتهادات لخلق نظرية عامة للتأويل تقف عند دلالة النص ورمزية العلامة وعلاقة النص بالمبدع وعلاقة المتلقي بالنص وبالمؤلف وعلاقة اللغة بالعالم وعلاقة الحقيقة بالواقع والملفوظ بالموجود... وتعمقت على يد "هايدغر Heidegger" الذي جعل الوجود لغة و"غادامير Gadamer" الذي جعل التأويل متجاوزا المناهج منغرسا في قضية المعرفة مؤكدا أن "الهرمينوطيقا... ليست شأنًا منهجيا للعلوم الإنسانية ولكنها مجهود لفهم هذه العلوم في حقيقتها ومن ثم الوعي المنهجي الذي تملكه بخصوصها وما يصلها بكلية تجربتنا في العالم"<sup>(7)</sup>، وتوسع في مجالات التأويل ليشمل النص الأدبي والأثر الفني والوثيقة التاريخية. وتتمثل الهرمينوطيقا (Hermeneutics) في النظرية التي تتعلق بالتأويل أي بشروطه المعرفية والإبستمولوجية والأنطولوجية، فالهرمينوطيقا إذن لا تقطع مع التأويل بل "يبدو أن المهمة الهرمينوطيقية المعاصرة تتمفصل دائما بشكل أكثر كمالا وظهورا مع استيحاءاتها الأصلية مما يعني أن لها مهمة تتوافق بشكل مسؤول مع نداء الموروث"<sup>(8)</sup>.

ولعل هذا التحول إلى العمق الفلسفي للمصطلح هو ما لم يعرفه مفهوم التأويل في تاريخ الثقافة العربية إلا في العقود الأخيرة نقلا عن الثقافة الغربية، وليس إفراسا طبيعيا من صلب الفكر الفلسفي العربي، إن صح الحديث عن فلسفة عربية حديثة أصلا؛ ذلك أن "الجذور اليهودية والمسيحية والتضمينات الأسطورية للفكر التأويلي وعلوم الفكر عموما تجعل من التناقض التطبيق المتبادل لمفاهيم التأويلية"<sup>(9)</sup> بين الثقافتين العربية والغربية. وتتمثل النتيجة في أن كلمة "هرمينوطيقا Hermeneutics" تتميز عن كلمة تأويل Interpretation بكون الأولى ذات كثافة فلسفية ولأن مصطلح Hermeneutics ومنذ إعادة اكتشافه في القرن التاسع عشر ارتبط عمليا بمصطلح

الأنطولوجيا *Ontology*، فإن هذا المصطلح ينخرط ضمن الخط التأملي الوجودي في الفلسفة من جهة وباللغة كموضوع للتأمل وملاحقة الكينونة في التعددية الدلالية للنص من جهة أخرى".

يقول الدكتور "عبد الوهاب المسيري" عن الهرمنيوطيقا: "هي مشتقة من الكلمة اليونانية "Hermeneuin" بمعنى يفسر أو يوضح - من علم اللاهوت - حيث كان يقصد بها ذلك الجزء من الدراسات اللاهوتية المعني بتأويل النصوص الدينية بطريقة خيالية ورمزية تبعد عن المعنى الحرفي المباشر، وتحاول اكتشاف المعاني الحقيقية والخفية وراء النصوص المقدسة" - كما تزعم.

### 3- التأويل في الحديث النبوي الشريف:

تمثل السنة النبوية المصدر الثاني للتشريع بعد كتاب الله عز وجل، وهي المورد الأوسع الذي ينهل منه جميع الفقهاء والمشرعين على اختلاف مدارسهم. ولذا، لا زالت السنة النبوية تمثل المصدر الذي لا تختلف الآراء على قبوله والالتفاف حوله عند ثبوت النص في صحته وسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولا زالت سنته الشريفة هي المعين الطيب الذي يستقي منه المسلم فكره، وعقيدته وثقافته؛ حيث إن فهم السنة يمثل الأساس الأهم في بناء عقل المسلم وتصحيح مسيرته وإعادة الفقه المعرفي والثقافي والحضاري للأمة. كما تبقى المصدر الثاني للتشريع بعد كتاب الله عز وجل الذي لا يزال يثير إشكاليات للدارسين تتعلق باللغة والبحث اللساني والتأويل فيها. وعندما نتكلم عن التأويل في الحديث النبوي الشريف فإننا لا نعني بذلك نفس هذا المعنى اللغوي فحسب وإنما نتعداه إلى ما وراء هذا المعنى الظاهر لنبلغ المعنى الخفي الباطن. ولاشك في أن دراسة الأحاديث النبوية لفهمها فهما صحيحا بإدراك معاني ألفاظها ومقاصدها الشرعية ثم تطبيقها على مجتمعنا المعاصر دون إفراط وتفریط بشكل يتلاءم مع ظروف العصر وحاجاتها، أمر مطلوب شرعاً وغايةً ليحصل بذلك كمال النفع وعظيم الفائدة والمصلحة العامة. ولهذا يتعلق التأويل في الحديث النبوي الشريف بتصميم عملية الفهم التي لا تتأتى إلا بعد طول المران والممارسة والتعمق فيما نريد فهمه في سياقه والالتزام بالبحث الدقيق فيه وإعمال الفكر حتى يتجلى لدارسيه، ولذا وجب علينا البحث في أصل الفهم في لغة العرب فوجدناه: العلم بالشيء ومعرفة، إذ ورد في لسان العرب كالآتي: "الفهمُ معرفتك الشيء" (10).

وجاء في مختار الصحاح: "فهم الشيء أي علمه" (11)؛ كما يوجد لفظ مرادف للفهم وهو الفقه حسب ابن منظور (1119): "وهو العلم بالشيء والفهم له"، والفرق بينهما حسب "ابن القيم": "الفقه أخص من الفهم لأن الفقه فهم مراد المتكلم من كلامه وهذا قدر زائد على مجرد فهم وضع اللفظ في اللغة" (12). إن العقل البشري الذي خصه الله عز وجل بالفهم، نعمة الله على عبده، ونور يقذفه الله في قلبه، يعرف ويدرك به ما لا يعرفه غيره ولا يدركه، فيفهم من النص ما لا يفهمه غيره (13). وتتجلى هذه الظاهرة عندما نقارن مستوى الفهم بين الناس فنجدته متفاوتا، تماما كما تتفاوت قدرتهم على التلقي؛ لذا يختلف فهمهم لخطاب الآخرين ومن ثم يتباين فهمهم للنصوص الشرعية. ولكل هذا، تتفاوت أقوال المفسرين في آية ما، أو أقوال المحدثين في شرح حديث ما، لأن العالم قد يفهم من النص القرآني أو الحديث النبوي معنى لا يفهمه عالم آخر، وحتى الصحابة كانوا متفاوتين في الفهم والإدراك أيضاً، كما هو الحال مع الحديث الآتي في باب من اكتفى بصلاة الجمعة في الاستسقاء:

1016- حدثنا عبد الله بن مسلمة، عن مالك، عن شريك بن عبد الله، عن أنس قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: هلكت المواشي، وتقطعت السبل. فدعا، فمطرننا من الجمعة إلى الجمعة، ثم جاء فقال:

تهدمت البيوت، وتقطعت السبل، وهلكت المواشي، فادع الله يمسكها. فقام صلى الله عليه وسلم فقال: "اللهم على الآكام والظراب، والأودية ومنايب الشجر". فانجابت عن المدينة انجياب الثوب<sup>(14)</sup>.

وتأويل هذا الحديث هو أن شبه الجزيرة العربية هي منطقة صحراوية بطبيعتها غير أن وجود النبي صلى الله عليه وسلم بها جعل البركة تحل بكل شبر فيها، بيد أن هذا لم يمنع من وجود بعض الابتلاءات كالجفاف مثلا، إذ أصاب المسلمين على عهده قحط اشتكت منه ومن آثاره كل الخليقة فجاء رجل من المسلمين إلى النبي صلى الله عليه وسلم شاكيا راجيا منه الدعاء للمولى عز وجل أن يمطرهم، ففعل النبي الكريم وإذا بالمطر يهطل من الجمعة إلى الجمعة؛ أي لأسبوع كامل، وهنا تتحول النعمة إلى نقمة جزاء ضعف صبرهم. وهنا يبدو جليا أن تأويل هذا الحديث يدخل في باب الصبر على المكاره فلا يجب على المرء أن يجزع إذا مسه الضر إلى حين يأذن الله عز وجل بانجلاء الغم وتفريج الهم. ومن هنا، ارتأينا أن التأويل في هذا المجال الديني يكتسي بالغ الأهمية لما يقوم به من دور فعال في فهم النص الديني.

#### 4- أهمية الفهم الصحيح للحديث:

يعتبر فهم نص الحديث المرحلة الأولى في التعامل الصحيح معه؛ ذلك أن السنة هي المصدر الثاني لأحكام الشريعة، وهو مصدر أيضا لتصور الفعل الذي تعلق به الحكم، وهو مصدر الطريقة المتبعة في تنزيل هذا الفهم على المحل لأحاديثه. وكل من لا يفهم المعنى الصحيح لهذه الأحاديث لا يمكن له أن يفهم الرسول صلى الله عليه وسلم حقا، وطريق فهم هذا النبي الكريم هو الفهم الصحيح؛ إذ يقع من لم يلم بفهم الحديث النبوي الشريف في سوء التصرف نتيجة سوء الفهم.

ولهذا، يعود فهم الدين الإسلامي حقيقيا وواقعا إلى بيان نصوصه بمفهوم صحيح ومعقول، إذ لا سبيل إلى تطبيق دين غير مفهوم المعالم. ولذا عرف أحد المعاصرين فقه الحديث بقوله: "الفهم العميق للنص النبوي، بالنظر إلى طبيعة تصرف النبي صلى الله عليه وسلم - ومعلوم أيضا أن الاجتهاد في الفهم، يعتمد على تعامل العقل مع النصوص جمعا ودراسة وتحليلا لمعرفة المراد الإلهي والنبوي والكشف عنه للتحقق والاستنباط منه لمعرفة خصائص الوحي وحال المتلقي عنه في سياقه الزماني، وإطاره المكاني"<sup>(15)</sup>. وإذا ما نظرنا إلى الخلافات التي ظهرت في الأحكام الشرعية على مدى العصور، فترى أن جذور تلك الخلافات كلها تتمثل في مسألة فهم نصوص الشريعة وفقهاها.

وقد تم منذ عصر النبوة إلى عصرنا الحالي تأليف العديد من الكتب في شرح الحديث وتفسيره حتى يتسنى للدارس فهمه دون لبس أو تعنيم، إذ بذل علماء المسلمين قصارى جهدهم عبر التاريخ في سبيل البيان الصحيح. فإذا ما تتبعنا أحوال الصحابة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم لوجدناهم لا يتورعون عن سؤاله في كل ما قد يشكل عليهم فهمه من الحديث النبوي الشريف، إذ يمثل صلى الله عليه وسلم الشارح الأول له لأنه قائله. والأمثلة في هذا الجانب عديدة مما جعل الإمام "ابن القيم" يؤلف كتابا سماه "فتاوى رسول الله صلى الله عليه وسلم"<sup>(16)</sup>، حيث جمع فيه أجوبة الرسول صلى الله عليه وسلم على أسئلة الصحابة المتعلقة بفهم نصوص الحديث أو غيرها. وهكذا، كان وجود النبي صلى الله عليه وسلم بين المسلمين كافيا لإزالة كل لبس ومنع الخلاف بينهم حول المعاني المحتملة للحديث النبوي الشريف وتأويلاتها المختلفة الناتجة عن اختلاف المفاهيم وتعاملهم مع النصوص الشرعية، بخلاف الجهود التي تلت إلى عصرنا هذا حيث أثر غياب النبي صلى الله عليه وسلم على مدى الوفاق والتناغم الذين كانا بين المسلمين وعلى الفصل في كل بؤرة توتر أو خلاف في فهم الحديث النبوي الشريف. ولا

شك أن السيدة عائشة أم المؤمنين كانت الصحابية الأكثر اجتهادا في فهم الحديث النبوي الشريف فهما صحيحا حيث أجابت على الكثير من الأسئلة المتعلقة بمدلولاته مبينة معانيها الصحيحة كما استدركت على بعض الصحابة في فهمهم الخاطيء لبعض الأحاديث<sup>(17)</sup>.

ويمكننا القول بأن الصحابة عموما قد بذلوا جهودا كبيرة في عهدهم من أجل فهم وبيان المعاني الصحيحة لهذه الأحاديث وصاروا نموذجا لمن بعدهم في مناهجهم، وقد أثمرت تلك الجهود في العهود التالية في نهاية القرن الثاني بعدة مؤلفات في شرح مفردات الحديث، وسمي هذا العلم بغريب الحديث<sup>(18)</sup>. كما لايسعنا إغفال بعض المؤلفات الأخرى التي تم إنجازها في نفس القرن في موضوع إيضاح المحتوى الحديثي وبيان مشكله<sup>(19)</sup>. ثم اشتهر في فقه الحديث على الخصوص الإمام البخاري من خلال تراجمه على الجامع الصحيح والتي تشكل منهاجا كاملا في التعامل مع السنة. وابتدأ في العهد الذي يلي تأليف كتب مستقلة في شروح الحديث؛ سيما بعض الشروح التي تم تأليفها حول موطأ الإمام مالك كما تذكر المصادر<sup>(20)</sup>.

ولعله من المعروف أن أول من شرح "صحيح البخاري" و"سنن أبي داود" هو أبو سليمان الخطابي الذي عاش في القرن الرابع الهجري. ولا شك أن هذين الشرحين الهامين، ألا وهما "إعلام الحديث" و"معالم السنن" يمثلان أهم أوائل كتب شرح الحديث وتفسيره، ويحظيان بمكانة هامة في تاريخ الحديث لدى الدارسين<sup>(21)</sup>. ثم ابتدأت حركة شرح الحديث بشكل منظم في القرن الرابع، ثم تطورت خلال القرون التالية، ووصلت إلى الذروة في القرن العاشر. وإذا طالعنا هذه الحركة العلمية، لوجدنا أنه تم تأليف مئات من الشروح عبر العصور، ولا تزال هذه الحركة مستمرة حتى عصرنا هذا، نظرا لحاجة الإنسان الدائمة لمن يشرح له ما يطرح صعوبة في الفهم لديه.

## 5- مشكلات التأويل وحدوده:

يمكننا اعتبار مشكلة التأويل قديمة جديدة في آنٍ معاً؛ إذ قد يصعب تحديد تاريخ بدء هذه المشكلة، أو على الأقل سيكون من الصعب والمعقد الاتفاق على تحديد بدء هذه المشكلة، فلعلنا سنجد من يعيد بدء ظهور التأويل ممارسة ومشكلة إلى فهم إبليس أمر ربه السجود لأدم عليه السلام، ثم مخالفة آدم عليه السلام أمر ربه في الاقتراب من تلك الشجرة. وهذان مثالان لن نجد أقدم منهما في ظهور التأويل ممارسة ومشكلة، ولكن قد يوجد من يعترض على ذكر هذين المثالين واعتبارهما أقدم نماذج التأويل، كما قد نجد آخرين يؤكدون على صحة اعتبارنا لهما مثالين على ظهور التأويل ممارسة ومشكلة، ولكن مهما بلغ مدى هذا الاعتراض فإنه لن يحول دون القول بأن مشكلة التأويل موعلة في القدم إلى درجة يكاد يكون من المتعذر معها تحديد نقطة البداية<sup>(22)</sup>.

كما لا يمكننا الادعاء بأنه لم يسبق لأحد أن بحث في حدود التأويل أو أنه لم يقترب أحد من هذه المشكلة، إذ لا شك في وجود بعض المقاربات والاقترابات من هذه المشكلة التي أخذت صيغاً مختلفة. ونعني بمشكلة حدود التأويل المستويات التي يتم بها ممارسة التأويل، فيختلف المفهوم باختلافها في الحد الذي يبدأ به وينتهي عنده. وعلى هذا الأساس كانت لدينا خمسة حدود لممارسة التأويل أولها الترجيع إلى الأصل، وثانيها تجاوز المعنى الظاهر، وثالثها الدخول إلى المعنى الباطن، ورابعها تقجير النص بالدلالات، وخامسها هو الممارسة التأويلية التي تتجاوز ما يمكن أن يقوله النص إلى ما لا يمكن أن يقول ويمكننا بذلك النظر في مستويات اعتماد المنقول والمعقول والعلاقة بينهما حسب مل يراه الكاتب ذاته في الصفحة 513 من كتابه السابق.

## 6- بين التأويل في الترجمة والتفسير والفهم:

لقد أشرنا سابقاً إلى أن لفظ التأويل ليس جديداً، فقد كان قديماً "يعني التغلب على مسافة زمنية أو لغوية ما من المعنى"، ومع المحدثين وخاصةً "ديلتاي" اكتسب هذا المصطلح حمولة جديدة تتعلق بوضع قواعد كلية لفهم النصوص، بالتحكيم بين التأويلات وكذا بإعلاء التفسير *exégèse* إلى مستوى العلم<sup>(23)</sup>. فحاول "ديلتاي" تأسيس منهج موضوعي للإنسانيات، وبعد "ديلتاي" بدأ التأويل يأخذ معنى أكثر اتساعاً من وضع قواعد عامة لفهم النصوص وذلك نتيجة للأفكار التي أرساها هايدغر، فأصبح التأويل ضمن هذا التحول الهايدغري " فلسفة التأويل التي تتجاوز المنظور الميتودولوجي لتصعد إلى شروط إمكانه، والتي تتناول الطابع اللغوي للتجربة البشرية من جهة ما هو محايث لها وللوجود في العالم من جهة أخرى" (ص 14).

وجب التفريق بين اللفظين *interprétation* و *herméneutique* لتداخلهما وتشعبهما "فالكلمة الأولى *interprétation* تعني الجهد العقلي الذي نقوم به في إرجاع معنى ظاهر ومجازي إلى معنى باطن أو حقيقي في حين أن الثانية ذات حمولة فلسفية بما أنها تهدف إلى الإمساك بالكائن من خلال تأويل تعبيرات جهده من أجل الوجود" (ص 15). وتُطلق كلمة هرمنيوطيقا في العادة على الاتجاهات المختلفة التي يعتنقها بعض الفلاسفة والمفكرين الذين يعطون اهتماماً خاصاً لمشكلات "الفهم" و"التأويل" أو "التفسير" فالكلمة كذلك تصدق على نظرية التفسير ومنهاجه.

وهكذا تكون التأويلية استنباطاً لمعنى النص أو لمعنى اللغة كما أطلق عليه "عبد القاهر الجرجاني" معنى المعنى "وهو أن تعقل من اللفظ معنى ثم يفرض بك ذلك المعنى إلى معنى آخر"<sup>(24)</sup>. إن التأويلية لا ترفض السياق، أي أنها لا ترفض ربط الأدب بالمجتمع الذي نشأ فيه فهي مسألة تشترك فيها التأويلية، في الحقيقة، في قراءتها للنص مع معظم التيارات الجديدة، الخاصة بتحليل النص وقراءته: من الشكلانية الروسية "formalisme" إلى السريالية "surréalisme" إلى البنيوية "structuralisme" إلى السيميائية "sémiologie"؛ فالتأويلية إذن توظف السياق الاجتماعي التاريخي من أجل بلورة المعاني التي يمكن للمتلقي استقبالها، فكأنها ترفض وضعاً فلسفياً للمرجعية بما هي معيار للتقويم.

وينبثق مفهوم التأويل من جملة التطورات التي حصلت في التيارات الفكرية والنقدية مساهراً تطوراتها المعرفية باعتباره جهداً عقلياً يحاول الوقوف على النصوص في انفتاحها اللانهائي لاستكشاف الدلالة التي ترتبط بمفهوم القراءة، ومن ثم تصبح العلاقة بين القراءة والتأويل جدلية تقوم على التفاعل المتبادل بين النص والمؤثر فيه والقارئ الذي يحدد آليات القراءة وإجراءاتها المنهجية. وقد ارتبط فن التأويل بإشكالية قراءة تفسير النص الديني مما دفع ماتياس فلاسيوس "Matthias Flacius" إلى الثورة على سلطة الكنيسة في مسألة مصادرة حرية قراءة النص المقدس ليقتراح أولوية التراث في تأويل بعض المقاطع الغامضة من النص وطابع الاستقلالية في فهم محتوياته بمعزل عن كل إكراه.

كما سعت التأويلية الحديثة إلى قراءة النص وتلقيه وكان ذلك بإيعاز من رواد جمالية التلقي "ياوس" و"آيزر" اللذين أسسا مشروعاً متفتحاً على جمالية التلقي، وخاصة مع "آيزر" في كتابه "فعل القراءة" الذي كان محاولة لتصميم نظرية في القراءة باعتبارها شرطاً مسبقاً وضرورياً لجميع عمليات التأويل، فأصبحت هذه النظرية الجديدة "حركة تصحيح لزاويا انحراف الفكر النقدي لتعود به إلى قيمة النص، وأهمية القارئ"<sup>(25)</sup>، بعد أن تهدمت الجسور الممتدة بينهما بفعل الرمزية والماركسية، ومن ثم كان التركيز في مفهوم الاستقبال على القارئ والنص. وبهذا

يمكننا اعتماد "إن جوهر منظور التلقي هو إعادة الصلة الحميمية والضرورية بين النص ومتلقيه"<sup>(26)</sup>، و"ضمان قراءة فاعلة تفسح المجال للقارئ قصد التجول في مدائن النص وسرادييه"<sup>(27)</sup>.

ويبقى التأويل رهين الإمكانيات التي يوفرها المجال الاستقبالي للسان ما، وهذا الربط هو ما يؤدي إلى التأويل والطريق التي بها يمكن القبض على المعنى وتحصيله باللفظ المعبر، وعلى هذا يكون "المجال اللساني للغة شرطاً في الإمكانية التي تحمل التأويل إلى اللغة وتهيئ استقبال المعنى الذي يتأسس وجوداً عندما تتعاین ألفاظه في السياق اللساني لخطاب ما".

### 7- جوهر عملية الفهم:

ومن كل ما سبق؛ نستنتج أن عملية الفهم "تقوم على نوع من الحوارية بين تجربة المتلقي الذاتية والتجربة الموضوعية المتجلية في الأدب من خلال الوسيط المشترك، ويتغير مفهوم "الفهم" نفسه من أن يكون عملية تعرف عقلية، إلى أن يكون مواجهة تُفهم فيها الحياة نفسها، والفهم- بهذا المعنى هو "الخصيصة المميزة للدراسات الإنسانية"<sup>(28)</sup>، وهو القدرة على تفهم الغير أو الطرف الآخر من خلال إنجاز فعل لغوي يقوم به الفاهم لصالح المتلقي، ويستفيد من الطرف الآخر لمبررات أخلاقية أو دينية أو عاطفية. وإذا كان التأويل هو عبارة عن إضفاء الصراحة على الفهم فإن الفهم هو أساس اللغة والتأويل، لأن الفهم متقدم على التأويل فيكون التأويل مبني على أصل الفهم لا العكس، كما أن الفهم يتركز في ثلاثة أبعاد غير منفصلة عن بعضها.

- المهارة العملية،

- المهارة الفهمية،

- المهارة التفسيرية.

وبهذا يصبح التأويل بدوره هو عمل الفهم الذي يشتغل على فك الرموز، وهو مرحلة أولية من مراحل التأويل الثلاثة: الفهم، والتفسير، والتطبيق application.

ويعني الفهم عند "ريكور" متابعة حركة النص من دلالاته إلى مرجعيته، أو من تعبيره إلى حول ما يعبر عنه وهو أشياءه ووقائعه، ويخلص "ريكور" إلى أن دلالة النص ليست وراء هذا النص بمحاذاة قصدية المؤلف ولكن قبله من جهة المرجعيات أو العوالم التي يفتحها ويتيحها، ويمكن لنا أن نرسم الدوائر الثلاثية: تفسير- فهم- تأويل على الشكل الآتي<sup>(29)</sup>:

- التفسير: هو التنسيق الرمزي للدلالات وفق قواعد وآليات.

- الفهم: هو الانتقال من دلالة النص إلى المرجعية الخارجية على سبيل المطابقة أو الاختلاف بما تتيحه المصادقية.

- التأويل: هو الانتقال داخل مرجعية النص من المعنى إلى الحدث أو الواقعة النصية.

### 8- بين الفهم والتأويل:

وهكذا سيشكل الفهم، والتأويل أهم الآليات الموظفة في فعل القراءة، ويمثلان الوجه الخفي لها. ومن هنا، كان التأويل يشتغل في إطار الهرمينوطيقا، وتكون القراءة وما تستند إليه من آليات مجالا خصبا يمكننا من العودة إلى تراثنا المعرفي عامة، والنقد خاصة، عودة منهجية تشتغل على قطبين هما: فهم النص الذي يمثل التراث في بعده وسياقه التاريخي، ثم قراءته من زاوية معاصرة تنطلق من هموم الخطاب الفكري وإشكالياته من حيث هو حاضر زمنيا ومعرفيا، بغية خلق حدثا فكريا حقيقية.



قال "أمبرتو إيكو": "لكي نؤول يجب أن نتلقى"<sup>(30)</sup>؛ حينها يصبح التلقي فنا معماريا يتم تشييده وفق هندسة القراءة التي تصنع النظرية وتحدد المفاهيم الجمالية. فالقراءة ليست تلقيا سلبيا أبدا وإنما هي تفاعل خلاق ومشاركة حقيقية بين النص والقارئ، تستلزم أن ندرك حضور الكاتب في داخل النص الأدبي، ليرتقي التلقي ويصبح حدثا تواصليا يعكس نوعا من أنواع التفاعل بيننا وبين الباث. وينبغي أن يكون "التأويل شكلا محددًا للتفاعل بيننا وبين النص، أي محاولة إقامة بنية للتلقي أو جهاز للقراءة في مقابل رسالة أو جهازها الإبداعي والفني الراجع إلى نظامها الذاتي"، وبهذا نجد أنفسنا بصدد مستويين اثنين للتفاعل هما:

- تفاعل المتلقي بالباث: تواصل.

- تفاعل المتلقي بالنص: تأويل.

يرى العقل التأويلي أن النص لا يمكن احتواؤه فهو الملقى الذي تتقاطع عنده التأويلات وتتفجر الدلالات ويضحي التأويل فعل تعدد وتشتت؛ فغدت إشكالية المعنى المتعدد، وجعل الخطاب مفتوحا لأفاق التأويل والفهم إشكالا كبيرا في الدراسات التأويلية وخاصة الدينية منها إذ لا يوجد تأويل يفضي إلى دلالة وحيدة أمام لغة قوامها المجاز.

يقول "الفراء" نقلا عن "عبد القادر عبو": "ظَلَّ النص الديني القرآني إشكالا قائما أمام العقل العربي الإسلامي فكان ابتداء مفهوم التأويل من قبل أهل الكلام مفتاحاً لولوج مغالبيق هذا النص بلغته البيانية التي تحمل تأويلات مختلفة وذلك لرفض التناقض بين النص والعقل"<sup>(31)</sup>. إذ إن لغة النص مجازية فيها يجوز استخدام اللفظ لغير ما وضع له أصلا، أما التأويل فيستعيد الدلالة المفقودة وبالتالي لا ينتج سوى التعدد والاختلاف؛ فالنص البياني عامة يفتح على أكثر من تأويل ويميل إلى إنتاج التعدد والاختلاف.

وهذا ما أكده "عبد القاهر الجرجاني" في دلائل الإعجاز وما لمح إليه بإمكانية تعدد المعاني مع توحيد "النظم"، وصرح بأن علم البلاغة هو العاصم من زلزل التأويل وما يرتبط به من جهل. ولعل ما يجعل التعدد والاختلاف قائما في القراءة هو ما ذهب إليه ابن العربي حين تناول فكرة أساسية يقترب فيها اقترباً شديداً من فهم معضلة "القصدي/النص/الفهم"؛ حيث يرى "أن اللغة قوى دلالية في ذاتها تجعلها قابلة لتعدد التفسيرات على مستوى الدلالة الوضعية الظاهرة للغة".

ومن هنا يحقق فعل تعدد القراءة إمكاناً دلالياً لم يتحقق من قبل، و"كل قراءة هي اكتشاف جديد، لأن كل قراءة تستكشف بعداً مجهولاً من أبعاد النص، أو تكشف النقاط عن طبقة من طبقاته الدلالية"<sup>(32)</sup>، فلا حياد إذن في القراءة بل تصبح "كل قراءة لنص من النصوص هي قراءة فيه، أي قراءة فعالة منتجة، تعيد تشكيل النص، وإنتاج المعنى، ولهذا نقول بأن القراءة الحرفية هي خدعة، اللهم إلا إذا كانت تعني التكرار الأجوف أو الصمت، أي اللاقراءة".

## 9- الحدود بين التفسير والتأويل:

يمتلك الفهم آلي التفسير والتأويل للمعنى الذي يمثل المساق المعرفي الذي تسعى إليه الآليتان إذ يمثل وجبة شهية تدعو متذوقها للنيل منها، لكن يبقى فهم الأمر أهم ما يمكننا الحديث عنه في هذا السياق. وقد تقاربت هاتان الآليتان لدرجة التداخل إذ لم يعد بإمكان الدارس لهما التمييز بينهما بدقة، حيث كانوا كثيراً ما يقصدون بالتفسير التأويل في صميمه والعكس صحيح، ولولا القراءة الدقيقة بينهما ما كان للأول وجود ولا للثاني كذلك.

وقد اختلفت حدود كل منهما لدى أهل التراث، فلم نجد بدا من التطرق إلى ما كانوا يصفون به هذين الآيتين بكون التفسير خطوة أولى نحو عملية التأويل، من منطلق أن التفسير يتعلق باللفظ أما التأويل فيتعلق بالمعنى، ونحن ندرك جيدا أن ما يصاحب اللفظ لا يمثل نفس ما يصاحب المعنى؛ كما يختلف القصد في كل منهما. وفي هذا يقول الراغب الأصفهاني: "أكثر ما يستعمل التفسير في الألفاظ والتأويل في المعاني كتأويل الرؤيا، والتأويل يستعمل أكثره في الكتب الإلهية والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها، والتفسير يستعمل في مفردات الألفاظ، والتأويل يستعمل في الجمل"<sup>(33)</sup>.

يؤدي بنا هذا الكلام إلى القول بأن تقلبات اللفظ وما يصاحبه من تغيرات كالتقديم والتأخير والتلازمات اللفظية الخاصة يختص التفسير بدراستها. أما إذا وجدنا الجمل بشتى أنواعها تحمل المعنى في أسى صورته، فتتحول آلية التفسير إلى اللبنة الأولى التي يستعملها المؤول ليصل إلى ما يبحث عنه من المعاني المتخفية وراء الكلمات الظاهرة. وهنا يبدو جليا أن المؤول لا ينطلق من العدم حتى يقوم بالتأويل، إذ يقوم باستتطاق الخلفية التاريخية والمرجعية الثقافية والمعطيات الشخصية التي يمتلكها المتلقي حيال النص اعتمادا على المعالم النصية الجلية حتى يصل إلى المعنى المبتغى من الكلمات.

كما أن التأويل في الحديث النبوي الشريف لا يتأتى لدارسه بشكله الصحيح دون اعتماد علوم أخرى مثل علوم النحو والبلاغة والتفسير؛ التي تمثل معايير تتأسس في نسق ثقافي متكامل يعتمد على أصول من الممارسة. وإضافة إلى كل العلوم التي ذكرناها، يحتاج المؤول إلى إتقان الممارسة والاستنباط والقدرة على ربط المعنى بالسياق النصي والسياقات الخارجية المختلفة. ويقول السيوطي في هذا: "التأويل ما استنبطه العلماء العاملون لمعاني الخطاب، الماهرين في آلات العلوم، وقال قوم منهم "البغوي" و"الكواشي": التأويل صرف الآلية إلى معنى موافق لما قبلها، وما بعدها، تحتمله الآية، غير مخالف للكتاب والسنة، عن طريق الاستنباط"<sup>(34)</sup>.

ومن خلال هذا الرأي للسيوطي يمكننا استنتاج أن ما ينطبق على أي القرآن الكريم في هذا السياق؛ أي سياق التأويل ينطبق على السنة النبوية الشريفة متمثلة أساسا في الحديث النبوي الشريف، وهذا راجع أساسا لانتماء كليهما إلى نمط النصوص المقدسة التي يتطلب التعامل معها حنكة ويقظة دائمتين، حتى لا يقع المؤول في فخ ظلال المعاني التي تضل المتلقي عن جادة الصواب ليقع في المحذور، وهو تحريف النصوص المقدسة وتحبيدها عن مقاصدها الشرعية التي انبنت لها ونزلت لأجلها.

#### 10- أثر التأويل والتفسير والسياق في ترجمة الحديث:

يؤثر كل من التأويل والتفسير والسياق على الفهم الصحيح للحديث النبوي الشريف كل بطريقة معينة، إذ يتعلق التأويل بربط عملية الفهم بالإيديولوجية والمرجعية الدينية التي ينتمي إليها الفرد والمجتمع على السواء، بينما يرتبط التفسير بمدى إدراك الفرد للعلوم والمعارف التي تمكنه من القيام بهذه العملية دون الوقوع في فخ ظلال المعاني، أما السياق فيمثل الإطار الزمني والمكاني والمناسباتي الذي تم ذكر الحديث النبوي الشريف فيه، وتؤثر كل هذه العمليات الفكرية على الترجمة التي لا يمكن أن تتم بشكل صحيح ودقيق دون الرجوع إليها إما منفردة أو مجتمعة. ويمكننا الاستدلال على تأثير التأويل على ترجمة الحديث النبوي الشريف في الأمثلة الآتي ذكرها من صحيح البخاري في نسخته العربية وترجمته الإنجليزية على السواء:

## 10-1- كتاب بدء الوحي:

## 2- باب:

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحيانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلَصلةِ الْجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيَّ، فَيُفِصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأحيانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلِكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعْيِي مَا يَقُولُ ص [7]. قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ، فَيُفِصِمُ عَنْهُ وَإِنْ جَبِينَهُ لَيَنْقُصُ عِرْقًا<sup>(35)</sup>.

## 1- ترجمة محمد محسن خان:

## The Book of Revelation:

## 2- CHAPTER.

2. Narrated Aisha رضي الله عنها the Mother of the faithful believers: Al- Harith bin Hishām "O Allah's Messenger! How is the Divine Revelation revealed to you?" Allah's Messenger صلى الله عليه وسلم replied, "Sometimes it is (revealed) like the ringing of a bell, this form of Revelation is the hardest of all and then this state passes off after I have grasped what is revealed. Sometimes the Angel comes in the form of a man and talks to me and I grasp whatever he says." 'Aishah رضي الله عنها added: Verily I saw the Prophet صلى الله عليه وسلم being inspired (Divinely) and (noticed) the sweat dropping from his forehead on a very cold day as the Revelation was over<sup>(36)</sup>.

## 2- ترجمة محمد مهدي الشريف:

## 2- The Book of Starting Revelation:

A'isha, The Mother of Believers, "Allah be pleased with her" narrated that Hesham Ibn Al'harith had asked The Messenger of Allah "Allah's Blessing and Peace Be Upon Him": "O, Messenger of Allah! How does the revelation come down to you?" The Messenger of Allah "Allah's Blessing and Peace Be Upon Him" answered: "Sometimes, it comes down likely as the bell's ringing; and, this is the heaviest. Later on, after it passes off, I become keeping of what was inspired to me. Other times, The Angel comes in the form of a certain man and talks to me, after which, I grow grasping of what was revealed." A'isha "Allah be pleased with her" added: "By Allah! I saw The Messenger of Allah "Allah's Blessing and Peace Be Upon Him" being inspired in the very cold day, on whose forehead, the sweat dropping was seen after the revelation was over."<sup>(37)</sup>

## 3- الدراسة التحليلية:

حتى نتمكن من تأويل الترجمة في كلا الحالتين، يتوجب علينا التجرد من المرجعية الدينية الإسلامية، وهذا ماسنحاول القيام به. وعليه، فإن قارئ هذه الترجمة سيفهم أن الأمر يتعلّق بتنزيل الوحي وهو كلام يتنزل من السماء على شخص مهم على الأرض وهو الرسول، غير أن الطريقة التي ينتزل بها تبقى غريبة نوعاً ما إذ إن "صلصلة الجرس" لا تعني بالضرورة "the ringing of a bell" التي يعرفها القارئ الإنجليزي الآن. لذلك فإن تخيله للجرس الذي يستعمله اليوم مناف للمعنى الوارد في اللغة العربية، حيث تعني صلصلة الجرس ذلك الصوت المنبعث من الجرس الذي نعلقه في عنق الحيوان. كما أن تنزيل الوحي لا يتم وفق نفس النمط الذي يعنيه فعل "come down" الذي يعني الوقوع والسقوط من أعلى إلى أسفل، بينما لا توحى الكلمة العربية وهي "التنزيل" الذي يكون من الأقوى إلى الأضعف بنفس المعنى، وبهذا فإن قول المترجم being inspired وكذلك الأمر مع revelation. وبالعودة إلى سياق الشريعة الإسلامية فإننا نجد بأن الوحي كان ينتزل به جبريل عليه السلام، وهو أحد الملائكة العظام الذي يلقب بأمين الوحي، على رسول الله صلى الله عليه وسلم على فترات حيث ينقل إليه

كلام الله عز وجل متمثلاً في آي القرآن الكريم، الذي يتلوه بعد ذلك الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم على الصحابة أجمعين ومن ثم كل المسلمين حتى يستبينوا النهج الصحيح الذي يتوجب عليهم اتباعه. وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ما يعانیه من شدة عندما ينتزل جبريل عليه السلام بالوحي عليه؛ حيث يقع رسول الله صلى الله عليه وسلم مغشياً عليه من ثقل الأمر عليه، بعد أن يكون قد وعى آي القرآن الكريم كما أراد الله جل وعلا. وبهذا، نجد أن القارئ غير المدرك لكل هذه الحقائق سيغفل عن فهمها بالطريقة ذاتها التي يفهمها بها المسلم المطلع على هذه الشؤون الدينية المرتبطة بصميم العقيدة الإسلامية.

## 10-2- كتاب الإيمان:

بَابُ: الْمُسْلِمُ مِنَ سَلَمِ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ

حَدَّثَنَا آدَمُ بْنُ أَبِي إِيَاسٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي السَّفَرِ، وَإِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "الْمُسْلِمُ مِنَ سَلَمِ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ"، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: وَقَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا دَاوُدُ هُوَ ابْنُ أَبِي هَنْدٍ، عَنْ عَامِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ يَعْنِي ابْنَ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ عَبْدُ الْأَعْلَى، عَنْ دَاوُدَ، عَنْ عَامِرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. (ص 15)

## 1- ترجمة محمد محسن خان:

### 4- CHAPTER. A Muslim is the one who avoids harming Muslims with his tongue and hands.

10- Narrated 'Abdullāh bin 'Amr رضي الله عنه said, "A Muslim is the one who avoids harming Muslims with his tongue and hands. And a Muhājir (emigrant) is the one who gives up (abandons) all what Allah تعالى has forbidden" (p 59) .

## 2- ترجمة محمد مهدي الشريف:

### 4- The Muslim is he, from whose tongue and hands all f Muslims are saved

10- Abdullah Ibn Amr "Allah be pleased with both" reported: The Messenger of Allah "Allah's Blessing and Peace Be Upon Him" said, "the Muslim is he, from whose tongue and hands all of Muslims are saved. The true immigrant "Muhajer" is he, who abandons all of what Allah almighty has forbidden." (p 7)

## 3- الدراسة التحليلية:

إن القارئ لهاتين الترجمتين يلاحظ أن مصطلح "المهاجر" يحمل دلالات لغوية لاتحويها غير الثقافة الإسلامية لذا جاء معرباً في كلا الترجمتين مع إضافة شرحه بين قوسين عند كل مترجم باتباع الترجمة الشارحة مع الاختلاف في رسم الكلمة باللغة الإنجليزية Muhājir و Muhajer. لذلك كانت الترجمة الثانية أقرب إلى الكلمة العربية من حيث الدلالات الشعرية والأخيلة التي تثيرها في نفس القارئ؛ فتأويل معنى الحديث هنا يدل على وجوب الاحتياط في التعامل مع الناس مع ضرورة عدم التسبب لهم بالأذى قيد أنملة، وهذا جوهر الإيمان عند المسلم خاصة، وجميع الناس عامة، ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أوحى بأن كلمة "المسلم" مشتقة في حروفها من الفعل "سلم" الذي يدل على السلامة والأمن من كل شر أو أدى قد يلحق بالنفس البشرية. ولهذا تتطلب عملية الفهم هنا ربط دلالة الكلمة بسياقها الذي تم ذكرها فيه حتى يتسنى لنا تفسيرها بشكل صحيح ودقيق، إذ لا يمكن فصلها عن سياق "السلامة والأمان" المطلوبان في شريعتنا الإسلامية وحتى في كل العلاقات الإنسانية الراقية التي تحترم غيرها كما تحترم ذاتها. أما عن دلالة الهجرة، فقد اختلف معناها في الوقت الراهن عما كانت تعنيه عند السلف في أزمنة أخرى غير زماننا، وتنوعت أساليبها واختلفت مشاربها وحتى أهدافها، لذلك فقد يتوقع

القارئ الأجنبي هجرة مماثلة لما يشهده الآن؛ بل قد يخيل إليه أن الأمر يتعلّق بالسفر الإرادي من مكان إلى آخر تلبية لرغبة أو حاجة ملحة لدى الفرد لتغيير المكان من أجل القيام بأمر ما كالعمل أو الاستجمام أو العلاج وغيرها. بينما يختلف الأمر حقيقة عما قد يخيل إليه؛ إذ أن الهجرة في معناها هي أن يسافر المرء تاركاً أهله ووطنه مكرهاً كأن يكون هارباً من الحرب أو النزاعات الأهلية، أو أن يتم تهجيرهم قسراً من سلطة ما يخضع لقوانينها، أو أن يفر هارباً بدينه من بطش من يدين بغير ديانتهم. كما أن الأمر لا يتعلّق هنا بالهجرة في حد ذاتها وإنما بترك كل ما من شأنه أن يسبب الأذى للغير، أي أن المعنى هنا يتعلّق بترك أقوال وأفعال قد يكون لها من الأثر الجارح والوقوع المؤلم العظيم الأذى لدى المتلقي أو المخاطب بصفة عامة، لذا وجب الابتعاد عن كل ما قد يؤدي للغير حتى لا نتعرض للأذى، وهذا المعنى لا يتم تحصيله بسهولة دون العودة إلى السياق الذي يحدد المعنى المقصود.

### 10-3- كتاب العلم:

#### 9- باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "رب مبلغ أوعى من سامع"

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا بَشِيرٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عَوْنٍ، عَنِ ابْنِ سِيرِينَ، عَنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ، ذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَعَدَ عَلَى بَعِيرِهِ، وَأَمْسَكَ إِنْسَانٌ بِخَطَامِهِ - أَوْ بِرِزَامِهِ - قَالَ: "أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟" فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيَسْمِيهِ سَوَى اسْمِهِ، قَالَ: "أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟" قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: "فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟" فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيَسْمِيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، فَقَالَ: "أَلَيْسَ بِذِي الْحِجَّةِ؟" قُلْنَا: بَلَى. قَالَ: "فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ، بَيْنَكُمْ حَرَامٌ، كَحَرْمَةِ يَوْمِ كُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، لِيُبْلَغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبْلَغَ مِنْهُ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ" (المرجع السابق: 46)

#### 1- ترجمة محمد محسن خان:

**9- CHAPTER. The Statement of the Prophet صلى الله عليه وسلم: It is probable that a person - who receives a piece of information indirectly " may comprehend it better than he who has heard it directly from its source ."**

67. Narrated 'Abdur Rahmān bin Abi Bakrah's father رضي الله عنه: Once the Prophet صلى الله عليه وسلم was riding his camel and a man was holding its rein. The Prophet صلى الله عليه وسلم asked, "What is the day today?" We kept quiet, thinking that he might give that day another name. He said, "Isn't it the day of Nahr (slaughtering of the animals of sacrifice)?" We replied. "Yes." He further asked, "Which month is this?" We again kept quiet, thinking that he might give it another name. Then he said, "Isn't it the month of Dhul-Hijja?" We replied, "Yes." He said, "Verily! Your blood, property and honour are sacred to one another (i.e. Muslims) like the sanctity of this day of yours, in this month of yours and in this city of yours. It is incumbent upon those who are present to inform those who are absent because those who are absent might comprehend (what I have said) better than the present audience." (95)

#### 2- ترجمة محمد مهدي الشريف:

**10- The Messenger of Allah's saying: An absent reported and might comprehend the case more than a present listener might**

67. Abu'Bakra "Allah Be Pleased with Him" narrated: Once The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" was riding his camel and a man was holding its rein. The Prophet "Allah's blessing and peace be upon him" asked: "What is the day today?" We kept quiet, thinking that he might give that day another name. He said: "Isn't it the day of slaughtering the sacrifice animal's?" We replied: "Yes". He further asked: "Which month is this?" We again kept silent, thinking that he might give it another name. Then he said: "Isn't the month

of Dhul'hijja? We replied: "Yes." He said: "Verily! Your blood, property and honour are sacred to one another (Muslims) like the sanctity of this day of yours, in this month of yours and in this city of yours. Those who are present are necessitated to inform those who are absent because those who are absent might comprehend (what was said) better than the present audience might."(22)

### 3- الدراسة التحليلية:

جاء الحديث في معناه للدلالة على الأهمية والعناية الكبيرتين اللتين يولييهما الدين الإسلامي لحياة المسلم، وأهمية العلم والعمل بالحدود التي رسمها الله سبحانه وتعالى للعباد وشرحها لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، لذلك فإن هذا الحديث صدر عنه صلى الله عليه وسلم في شهر ذي الحجة الذي يجله القارئ باللغة الإنجليزية، وهو آخر أشهر السنة القمرية وأحد الأشهر الحرم التي يحرم على المسلم المحرم فيها الصيد وقتل الحيوانات أو الحشرات عدا المؤذية منها؛ ما يعني أن الحديث النبوي هذا يحمل آخر التوجيهات والحدود للمسلمين حتى لا يعتدي أحدهم على أخيه. بيد أن عملية الفهم لا تتم بالطريقة نفسها والمستوى نفسه عند كل المتلقين، فقد تجد عند أحد الغائبين فهما أدق لمعاني الحديث لذلك نبهنا هنا إلى ضرورة التنبيه إلى الفروق في العلم والتلقي بين متعلم وآخر، مما يوجب نقل هذه المعارف من الحاضر إلى الغائب حتى يحصل الفهم والإفهام عند الجميع. كما أن يوم النحر يحمل دلالة لا تحويها غير الثقافة الإسلامية، مما يشكل فرقا كبيرا في الدلالة والأهمية لدى من يعي حرمة هذا الشهر ومن هو جاهل بها، فالمسلم على المسلم فيها حرام قتله وماله أي سرقة أو الاستيلاء على ماله بطريقة غير مشروعة مما يسبب له الأذى في نفسه وماله، إضافة إلى التجريح في عرضه وإلحاق الأذى به بما يشكل قذفا في حقه أو في حق أهله. لذا، فإن إدراك كل هذه الأوامر والالتزام بها والانتهاز عما نهى عنه الشرع لن يكون أمرا سهل التطبيق خاصة عند من لا يعي كل هذه المعاني الكامنة وراء التفسير الدقيق والمنهجي الصحيح لها، حتى يتيسر الفهم لغير الملتمزم بهذه الأحكام ذات الصلة بالشريعة الإسلامية.

### خاتمة

يمكننا التسليم بالقول بأن ما يضيفي على هذا الرأي وضوحا هو أننا نتصور عملية التأويل فعلا وجهدا ذهنيا ومهارة في بناء المعنى وتشبيد صرحه، اعتمادا على العلوم المختلفة، بإعمال الفكر والجهد والمغامرة نحو المعنى في طريقه إلى التشكل والانكشاف، وهذا عندما نتقلنا البنية الدالة التي تمثل مركز الفهم إلى معنى محتمل؛ كأن نقوم ببعض الافتراضات والاستقصاءات التي توافق مسار الكلام، لنجعلها تتناسب مع المقاصد الكبرى للخطاب الديني عامة، ويرافق هذا الاشتغال العقلي الدليل الراجح والإحالة على مرجعيات مقبولة وقوية. إن التعامل مع النصوص الدينية كالسنة النبوية الشريفة سواء بالترجمة أو التفسير يتطلب القراءة المتأنية المتفكرة المتدبرة للمعاني، ذلك أن كل قراءة هي عبارة عن تأويل إنساني يختلف عن النص المكتوب، ويرتبط تاريخيا بعملية الفهم؛ التي تمثل اللبنة الأولى له.

### قائمة المصادر والمراجع:

- 1- القرآن الكريم، سورة النساء 59/4.
- 2- القرآن الكريم، سورة يوسف 6/12.
- 3- الجرجاني علي بن محمد السيد الشريف، 1971، التعريفات، الدار التونسية للنشر، تونس، ص 28.
- 4- حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، المجلد الأول، محمد شرف الدين بالتقاي، دار إحياء التراث العربي، ص 335.
- 5- طلبة منى، الهرميوطيقا، المصطلح والمفهوم، مجلة أوراق فلسفية، العدد 10، القاهرة، 2004، ص 133.

- 6- الخراط محمد، التأويل من الاشتقاق اللغوي إلى النظرية، قسم العلوم الإنسانية والفلسفة، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، 2015/03/03، ص 4.
- 7- Gadamer, 1976, *Vérité et Méthode: Les Grandes Lignes d'une Herméneutique Philosophique*, Edition du Seuil, p 22.
- 8- Gianni Vattimo, 1997, *Au-delà de l'Interprétation*, traduit de l'italien par Malou Somville Garant, Département de Boeck, Université Paris, Bruxelles, p 110.
- 9- عمارة الناصر، 2007، اللغة والتأويل، الهرمينوطيقا والفكر المعاصر، الدار العربية للعلوم ناشرون، الطبعة 01، ص 73.
- 10- ابن منظور جمال الدين بن مكرم، لسان العرب، المجلد 12، الطبعة 03، دار صادر، بيروت، ص 459.
- 11- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، 1986، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، ناشرون، بيروت، ص 513.
- 12- ابن القيم الجوزية برهان الدين إبراهيم بن الشيخ شمس الدين محمد، (691 هـ - 751 هـ / 1292م - 1349م)، إعلام الموقعين، الجزء 1، الطبعة 01، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ص 264.
- 13- ابن القيم الجوزية برهان الدين إبراهيم بن الشيخ شمس الدين محمد، (691 هـ - 751 هـ / 1292م - 1349م) مدارج السالكين، الجزء 2، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ص 41.
- 14- البخاري محمد بن اسماعيل، 2003، صحيح البخاري، المجلد الأول، الطبعة 01، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ص 240.
- 15- زهير بن أحمه عبد السلام، مقدمة منهجية، انظر في سلسلة الحديث فهما وتنزيلا، الطبعة 1، ص 12، موقع الشهاب.
- 16- انظر النماذج من الأمثلة في ذلك في كتاب فتاوى رسول الله صلى الله عليه وسلم، لابن قيم الجوزية، بتحقيق سليمان سليم البواب، دار الحكمة، دمشق، 1984/1404، والكتاب له أكثر من طبعة.
- 17- وقد جمع الإمام الزركشي هذه المسائل في كتاب سماه "الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة"، وتم طبع الكتاب عدة طبعات.
- 18- ومن أهم المصنفات فيه: "غريب الحديث" لأبي عبيد القاسم بن سلام، ولابن قتيبة الدينوري، ولأبي سليمان الخطابي كذلك، وكذلك "النهاية في غريب الحديث" لابن أثير الجزري.
- 19- وللعلماء فيه مصنفات وأشهرها: "اختلاف الحديث" للشافعي ضمن كتابه الأم، و"تأويل مختلف الحديث" لابن قتيبة، و"مشكل الآثار" للطحاوي، و"مشكل الحديث" لابن فورك، وكل هذه المؤلفات مطبوعة والحمد لله.
- 20- انظر لشروح الموطأ: كشف الظنون لحاجي خليفة، 1907/11، وهديّة العارفين لاسماعيل باشا، 624/1، 48، 550/11؛ وتاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين، 460/1 461.
- 21- وهما مطبوعان، و"معالم السنن" له عدة طبعات، وأما كتاب "إعلام السنن في شرح صحيح البخاري" حسب علمنا له طبعة واحدة، وهي طبعة جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1990/1411.
- 22- عزت أحمد السيد، حدود التأويل، مجلة جامعة دمشق، المجلد 28، العدد الأول، 2012، ص 514.
- 23- حسن بن حسن، 2003، النظرية التأويلية عند بول ريكور، منشورات الاختلاف، الطبعة 02، الجزائر، ص 14.
- 24- مرتاض عبد المالك، 2003، نظرية القراءة، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران الطبعة 01، ص 183.
- 25- نصر حامد أبو زيد، 2005، إشكالية القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، الطبعة 05، بيروت، ص 21.
- 26- محمود عباس عبد الواحد، 1996، قراءة النص وجماليات التلقي، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة 01، ص 17.
- 27- رجاء عيد، ما وراء النص، مجلة علامات، السعودية، المجلد الثامن، العدد 30، شعبان/ديسمبر 1999.
- 28- عمارة ناصر، 2004، مقاربات في الهرمينوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي، مجلة أوراق فلسفية، العدد 10، القاهرة، ص 151.
- 29- محمد شوقي الزين، 2002، تأويلات وتفكيكات، فصول في الفكر الغربي المعاصر، المركز الثقافي العربي، الطبعة 01، ص 78.
- 30- إدريس بلمليح، 1995، من التركيب البلاغي إلى المجال التصوري عند عبد الله راجع، من قضايا التلقي والتأويل، منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية بالرياض، سلسلة ندوات ومحاضرات، ص 85.
- 31- عبد القادر عيو، مركزية التأويل في محاور النص الشعري المعاصر، <http://www.fenni-dz.net>.

- 32- علي حرب، 1995، نقد الحقيقة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، الطبعة 03، ص 08.
- 33- الراغب الأصفهاني، 502 هـ - 1108 م، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان الداودي، طبعة دار القلم، الدار الشامية، دمشق-بيروت، ص 402.
- 34- السيوطي جلال الدين، 1991، الإتيان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان، الطبعة الثانية، الجزء الثاني، ص 382، 383.
- 35- البخاري محمد بن اسماعيل، 1422هـ، صحيح البخاري، المجلد الأول، كتاب الوحي، دار طوق النجاة، [الحديث 2- طرفه في: 3215]، ص ص 7-8.
- 36- Muhammad Muhsin Khan, 1997, The Translation of the Meanings of Sahih Al-Bukhari English-Arabic, Volume 1, Darussalam Publishers and Distributors, Riyadh, Saudi Arabia, p 46.
- 37- Mohammad Mahdi Al-Sharif, 2003, the Correct Traditins of Al-Boukhari English-Arabic, Volume 1, Dar Al Kotob Al-Ilmiyah, Beirut, Lebanon, 1<sup>st</sup> Edition, p 1.